الفكر المناهض للوبي اليهودي في الجزائر: مقاربة نموذجية في ارتدادات الثورة المغيلية

تاريخ استلام المقال: 2016/12/14 تاريخ قبول المقال للنشر 2017/04/13

د.محفوظ رموم استاذ محاضر في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة أدرار

البريد الالكتروني: Remazigh2011@gmail.com

الملخص:

حاولنا في مداخلتنا هذه- وفي ذلك شيء من الصحة والخطأ- استنطاق فكر المغيلي، ودراسة وتحليل آثاره، ليس في مؤلفاته كما جرت عليه العادة، بل بالبحث في الإشكالية الأساس، وهي "الثورة المغيلية" ضد اللوبي اليهودي في منطقة توات، وأثرها ومخلفاتها على النخب الدينية الجزائرية، باعتبار أن ثورة المغيلي الفقهية والاجتماعية والسياسية على اليهود، كانت الأساس في نضال فقهاء الجزائر ضد هذا اللوبي، من أمثال الشيخ الفكون الجد، والشيخ محمد الولي وابن الكماد القسنطيني، وعليه فالسؤال كيف استطاع المغيلي مراكمة الثورة ؟ وماهي ارتداداتها على النخب الدينية المناهضة للوبي اليهودي في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: الثورة المغيلية- توات- اللوبي اليهودي- ارتدادات الثورة-مراكمة الثورة

Résumé:

Nous avons essayé dans notre approche d'intérogée, d'étudiée et d'analysée la pensée du cheikh elMaghili, non seulement dans ses œuvres, mais il semble fondamentalement la problématique, de la révolution d'elMaghili contre le lobby juif dans la région du Touat, et son impact sur les élites religieuses algériennes. Comme cette révolution doctrinale, sociale et politique, était la base de la lutte des fukahas contre ce lobby, t'elle que Sheikh Alvkon, cheikh Mohammed wali et cheikh Ibn Alkmad a Constantine.

danc la question, est de savoir comment pourrait elMaghili accumuler la révolution? et Quelles sont les répercussions sur le lobby anti-juive en Algérie a l'époque moderne.

المقدمة:

الكتابة حرقة داخلية، وهاجس معرفي، يلازم المثقف طيلة مسيرته العلمية، ولكن يوجد فرق كبير، بين الكلمة مجرد كلمة نكرة، والكلمة الموقف، التي يراد من خلالها تسجيل الموقف. فما أكثر العلماء، وكتابات العلماء، في مختلف المراحل والظروف، ولكن ما أقل الكتابات السجالية

والنضالية، التي يريد صاحبها من خلالها، تجاوز الموقف، إلى التأسيس لإشكالية الثورة، على الوضع القائم وتغييره.

هذه الأخيرة، هي التي دفعتنا لمحاولة تفكيك الأطر الفكرية، التي اشتغل من خلالها أحد رجالات وعلماء الجزائر العاملين، ألا وهو الشيخ العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي ت909هـ/1503م، وتحليل مواقفه الفقهية والعلمية والنضالية، ليس باعتباره، المؤسس الفعلي، لحركة الإصلاح بالجزائر، في العصر الحديث فحسب، بل بنشاطه الإصلاحي، الذي تناول فيه مسائل اجتماعية وسياسية، ليست خاصة بإقليم توات فقط، بل بكامل شمال إفريقي، ونقصد بذلك ثورته على الدور اليهودي المتعاظم في المنطقة، وما خلفته فتاواه من ارتدادات، امتدت آثارها إلى مختلف دول المنطقة، وألقت بظلالها على إحدى أهم وأعقد قضايا العصر، التي اختلف فيها رجال الدين، وهي تقيم مدى خطورة دور اللوبي اليهودي اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا في المنطقة عبر العصور، في ظل صورة نمطية جاهزة عن اليهود.

كانت الثورة المغيلية الفقهية والاجتماعية والسياسية على اليهود، الأساس في نضال فقهاء الجزائر ضد هذا اللوبي، حتى وإن لم يجمعهم المكان والزمان، من أمثال الشيخ عبد الكريم الفكون الجد، والشيخ محمد الولي، والشيخ ابن الكماد القسنطيني، وعليه فالسؤال المطروح: كيف استطاع المغيلي مراكمة الثورة ؟ وماهي ارتداداتها على النخب الدينية المناهضة للوبي اليهودي في العصر الحديث.؟

ولذلك سنتناول هذه الإشكالية في العناصر التالية:

1/ مقاربة في فهم الفكر الديني والسياسي عند المغيلي

2/ المغيلي وقضية اللوبي اليهودي بتوات

3/ ارتدادات الثورة المغيلية.

أولا: مقاربة في فهم الفكر الديني والسياسي عند المغيلي:[1]

يعتبر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، أحد أقطاب الفكر الديني والسياسي في الجزائر، ولد في تلمسان بمنطقة مغيلة سنة 831هـ/ 1427م، على رواية ابن مريم صاحب

[1] حول سيرة المغيلي يراجع: أحمد الحمدي، محمد عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية في توات عصره ولآثاره، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر 2000/1999.

البستان،[1] وقيل سنة 842هـ/ 1438م، غير أن بعض الروايات تذهب إلى ما ذكره العلامة ابن القاضي في تاريخ الوفيات، من أنه ولد سنة 820هـ/1417م في أوائل ربيع الأول، أما تاريخ الوفاة فقد اتُّفق على أنَّه توفي سنة 909هـ/1503م.[2]

نشأ الشيخ المغيلي بتلمسان حيث تلقى دروسه، فحفظ القرآن على يد الشيخ أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب، وأخذ عنه بعض أمهات الكتب الفقهية كالرسالة، ومختصر خليل، وابن الجاحظ، وقد أجاد فنوناً مختلفة، وتفقه على مذهب الإمام مالك، وبذلك تلقى أبجديات العلم في مسقط رأسه، حيث ارتاد كتاتيب ومساجد مدينة تلمسان، فدرس وتفقه على يد شيوخها.

انتقل المغيلي بعدها لطلب العلم مشرقا ومغربا، فكان كثير الترحال، وخلال مرحلة طلب العلم، انتقل إلى عاصمة الحماديين بجاية، التي كانت تضم بين جنباتها إحدى كبرى جامعات العالم في العصر الوسيط، فارتاد جوامعها، وجالس علماءها، ونهل من بحور المعرفة، وتفقه في مختلف العلوم الدينية، ولم يكتف بذلك، فقد استقر في الجزائر المحروسة،[3] ليزيد ويستزيد من مختلف الفنون على يد شيوخها بالجامع الأعظم، وينهل من فيوض الرحموت، خاصة وأنها موطن كبار العارفين، كيف لا وهي تحوي مقر أكبر متصوفة العصر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، حيث جلس إلى حلقات التفسير والقراءات، وأخذ الطريقة والورد عليه.

هاجر المغيلي إلى إقليم توات، وقد اختلفت الروايات حول تاريخ انتقاله، فقيل سنة 877هـ/ 1472م، وقيل 883هـ/ 1478م، بينما ذهب البعض إلى أن هجرته تأخرت إلى سنة 892هـ/ 1487م. ويرجع هذا التضارب إلى اختلاف الروايات التاريخية في تحديد تاريخ ميلاده.

ليس هذا فحسب بل أن المصادر، التي ترجمت للرجل، تضرب صفحا عن ذكر الأسباب، التي دفعت به إلى اختيار توات مستقرا له، وهو سؤال مشروع، خاصة إذا علمنا أنه خلف وراءه حواضر جزائرية وشمال إفريقية كبيرة، كبر مراكزها العلمية، وعظيمة عظمة نشاطها

---

[1] حول الترجمة أنظر: ابن مريم،، أبي عبد الله محمد المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي الشنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986، ص- ص253-257.

[2] عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الطباعة العصرية، الجزائر 2010، ص71.

[3] حول التعليم والعلماء والمؤسسات التعليمية بمدينة الجزائر في تلك الفترة يراجع: محفوظ رموم، حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500-1830م، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، العدد 27، لسنة ديسمبر 2013، ص 191-225 .

التجاري والسياسي، كالجزائر المحروسة وبجاية وقسنطينة وتونس وفاس، مما كان سيفتح أمامه المجال الأوسع، لتحقيق طموحاته العلمية والفكرية والسياسية، إلا أنه اختار الصحراء، بعزلتها وقلة حركيتها، مما يتعارض وطموحاته الكبيرة، التي سجلها تاريخه النضالي الحافل، من خلال مواقفه العلمية، ومساجلاته السياسية.

يركز كل من ترجم للمغيلي، من المتقدمين والمتأخرين، على إيراد وترجيح رواية واحدة لتبرير سبب ترشيحه توات كمنفى اختياري، إلا أننا نرجح كل تلك الروايات ونخمن بأنها كانت مجتمعة وراء هجرة الرجل.

فالفتنة التي ألمت بالشيخ أحمد بن يحي الونشريسي-وهو صديق المغيلي- مع السلطان الزياني سنة877هـ/ 1472م، وهي السنة نفسها التي هاجر فيها المغيلي، على حسب بعض الروايات، وما حل بتلمسان من اضطرابات زادتها مفاسد اليهود، وسكوت رجال الدين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى الصداقة التي جمعته بشيخه عبد الرحمن الثعالبي، والذي زوجه بنته زينب، ونصحه بأن "لا يعاشر أهل سفاهة وأن لا يستوطن مكان إهانة"،[1] كلها دفعت باتجاه المنفى الاختياري للرجل كنوع من الهروب من الواقع المر، الذي عادة ما يكون حلا لكثير من النخب، المناهضة لأداء السلطة الحاكمة.

يضاف، إلى كل ذلك، طبيعة النشأة الصوفية للرجل، وربما رغبته في نشر العلم والثقافة الدينية في المناطق البعيدة في الصحراء وما وراء الصحراء، ووجود جالية من علماء تلمسان، الذين سبقوه ونشطوا الحياة الثقافية في توات،[2] من أمثال العالم الفقيه يحي بن يدير، والشيخ عبد الله العصنوني. وبناء عليه، فإن الأمر يصبح أكثر وضوحا، وأقرب إلى تفسير أسباب قدوم الشيخ المغيلي على توات.

شكلت توات، على مر التاريخ، موطن الهجرة القسرية والاختيارية، على حد سواء، لكثير من الأشخاص والقبائل، الفارة من الاضطهاد السياسي، وسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، أو تلك التي كانت تعاني من خلافات مع السلطة السياسية، في ممالك شمال إفريقيا، خلال الحقبة

---

[1] مولاي التوهامي الغيتاوي، **سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات**، منشورات A.N.E.P، 2005م، ج1، ص- ص 39-40.

[2] فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984، ص- ص 92-93.

الوسيطة، من الرستميين والزيريين والحماديين إلى المرابطين والموحدين، وصولا إلى تلك التي عاصرها المغيلي كالزيانيين والحفصيين والمرنيين.

وصل المغيلي توات قادما من تلمسان، بعد أن ساءت الأحوال هناك، وضاقت به نفسه، فقد قال:

تلمسان أرض لا تليق بحالنا ولكن لطف الله نسأل في القضا

وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهود وفجار ومن ليس يُرتض

حينها كانت توات بلد للعلم، وهو ما قاله الشيخ بنفسه حين دخلها:"" دخلنا توات فوجدناها ديار علم، ومقر أكابر وأعلام، فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا، لولا ما ابتلينا به من محنة أخباث اليهود، لعنهم الله، وقد حمدنا الله جل جلاله، على أن أهلكهم على أيدينا".

نزل المغيلي قرية أولاد سعيد بنواحي تيميمون حوالي سنة 856هـ/ 1452م، ومنها إلى عاصمة الإقليم تمنطيط، حيث تفرغ لنشر العلم وتدريس مختلف العلوم الدينية. فلما ذاع صيته، وكثر تلامذته، بنا زاوية له، وتحول إلى أحد أهم أقطاب التصوف، على الطريقة القادرية بالمنطقة كلها، إلى أن وافته المنية سنة 909هـ/1503م.[1]

ترك لنا المغيلي مكتبة ثرية في مختلف العلوم الدينية، فقد جمع إلى جرأة القلب، فصاحة اللسان، وسيلان القلم، ولذلك أحصيت له عشرات المؤلفات والقصائد المنظومة والشروح والتقاييد، في الفقه والتفسير والحديث والمنطق وآداب التصوف.[2]

ثانيا: المغيلي وقضية اللوبي اليهودي بتوات:

لم تكن الثورة على اليهود في فكر المغيلي، وليدة وجوده في منطقة توات، ولكن كانت تعبيرا عن فكر أصلاًحي لتغيير الأوضاع القائمة، التي عايشها في مسقط رأسه تلمسان أولا، ثم في مختلف المدن التي زارها أو استقر بها، ولم تكن بذلك توات سوى الجغرافيا، التي احتضنت الفكر

[1] يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر 2001، ص- ص 69-87.

[2] **ومن أهم مؤلفاته التي وصلتنا**: "البدر المنير في علوم التفسير"، و"مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، و"مغني النبيل"، وهو شرح على مختصر خليل، على طريق المزج، ووضع حاشية عليه سماها "إكليل مغني النبيل"، و"إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل"، و"مفتاح النظر" في علم الحديث، و"شرح جمل الخونجي" في المنطق، ومنظومة أخرى في هذا العلم سماها "منح الوهاب"، وقد وضع عليها ثلاث شروح، كما ألف في التصوف كتاب "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"، إضافة إلى أجوبته على أسئلة سلطان بلاد كانو الحاج محمد أسكيا، وغيرها من التآليف والقصائد المنظومة.

الثوري، الذي تميز به المغيلي طيلة حياته. لكن من الصعب الحكم لصالح الرجل أو ضده، قبل استعراض مسيرته النضالية.

1-تركيبة يهودية منغلقة في مواجهة صورة نمطية تراثية:

تكونت الطائفة اليهودية في الجزائر من هجرات شرقية، يرجعها البعض إلى أيام الأسر البابلي الأول والثاني أيام نبوخذ نصر، والهجرة الموسوية أيام الاضطهاد الفرعوني، وقد انصهرت هذه الهجرات مع السكان الأمازيغ، الذي اعتنق بعضهم الديانة اليهودية، ولذلك يعرف هؤلاء باليهود الأصليين.

حلت بشمال إفريقيا، بعد حروب الاسترداد، والذي كان الحوض الغربي للمتوسط مسرحا لها، جالية يهودية أخرى، فرت من اضطهاد محاكم التفتيش في إسبانيا، ولذلك عرفوا في المصادر بيهود الريكونكيستا أو يهود الفرنج.[1]

عرف إقليم توات، في قلب الصحراء، وجودا مهما للطائفة اليهودية، والتي تكونت عبر عصور مختلفة، وقد أطلقت عليهم أسماء عديدة، تعبر عن الأصول والمرجعيات المختلفة، للجماعة اليهودية.

فمصطلح "**اليهود الأصليون**"، يطلق على بعض أفراد القبائل المحلية، التي اعتنقت اليهودية، والذين قدموا من الشرق إلى توات، منذ العصور القديمة. أما مصطلح "**المهاجرة**" فيطلق على يهود المنطقة، الذين دخلوا في الإسلام، وهم أكثر اندماجا اجتماعيا، حيث يخضعون لأحكام التشريع الإسلامي. في حين يطلق اسم "**الغلايف**" على اليهود القادمين حديثا إلى توات[2]، وهي الفئة التي كانت تملك أسباب الثروة، وقد بسطت سيطرتها على تجارة الإقليم، وأصبح دورها السياسي بارزا أكثر، وبذلك فقد كانوا أكثر المعنيين بأسباب الخلاف، الذي نشب مع المغيلي، واستفتى فيهم الفقهاء ببلاد المغرب، ولو أن الثورة التي نشبت قد مست الطائفة اليهودية بعمومها، كما سنرى.

---

[1] Eisnbeth (M); Le judaisme Nord Africain, Constantine 1931, p-p 24-25.

[2] المهدي البوعبدلي، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، السنة16، العدد 94، جويلية / أوث، 1986، ص90.

توزع اليهود في الجزائر إذن، على مختلف المدن والحواضر الكبرى، فكانوا في جزائر بني مزغنة، قسنطينة، تلمسان، مستغانم، غرداية، تقرت وتمنطيط، وسكنوا في حارات خاصة بهم تعرف بحارة اليهود أو درب اليهود.[1]

شجع هذا التنظيم العمراني على عزلة اليهود، وزاد في انغلاقهم الاجتماعي، بسبب خلفيتهم الدينية، والرفض الاجتماعي الذي عانوا منه، وسياسة التمييز التي مارستها بقية العناصر الاجتماعية المسلمة ضدهم، كما احتفظوا بتنظيمهم الديني والاجتماعي، ما جعلهم كما قال دوبونوف دولة داخل أمة[2] في مفارقة عجيبة، قابلها انفتاحهم الاقتصادي، الذي جعلهم يسيطرون على التجارة والصرافة والصياغة، ما .

وضع التجار اليهود بتمنطيط أيديهم على التجارة العابرة للصحراء، بنشاطهم وحنكتهم، كما احتكروا صياغة الذهب والفضة، والصرافة النقدية والمالية، على عادتهم في المدن التجارية، ويعود ذلك إلى تاريخهم الحافل بالاضطهاد، والذي جعلهم يشترون حياتهم في المنفى بالمال، فلم يكن بمقدورهم الاستقرار في الشتات، وخاصة في أوروبا، دون شراء المكان والأرض من الإقطاعيين، ومنذ تلك الفترة ارتبط وجودهم بالنقد والمال.

تقرب زعماء ويهود توات أكثر إلى الحكام والأعيان، في المدن والقصور المختلفة، وقد سمح لهم هذا الوضع بالتدخل في الشؤون السياسية، والتأثير على مركز القرار في المشيخات المحلية، وربما مكنهم ذلك من إبطال العقوبات المسلطة عليهم، في حال ارتكابهم للمخالفات.

أثار هذا الوضع حفيظة الشيخ المغيلي، فاعتبر ذلك إساءة لعموم المسلمين، وهذا ما نفهمه عندما نقرأ ما بين سطور الرسائل، التي عبر فيها عن تجاوز اليهود للحدود الشرعية، والاستعلاء على المسلمين، والتعدي والطغيان، والتمرد على الأحكام، إلى درجة تولية زعماء القبائل وحكامها، وخدمة الأعيان، وهذا ما ينافي أحكام الدين حسب رأيه.[3] وهي عبارات وصفية، لا يمكننا تقدير مدا مبالغاتها في التوصيف، بحكم أننا لم نعايشها، ولم تطلعنا مصادر الفترة على مداها، ولكن أيا كانت المبالغة، فهي تعبر عن حالة تراكم الغضب لدى المغيلي، من تمدد النفوذ اليهودي عموما في شمال إفريقيا.

1 Eisnbeth (M); Les juifs de l'Algérie et de la Tunisie a l'époque Turque 1516-1830, in Revue Africaine, N 93, A 1952, p.343.

[2] إبراهام ليون، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، دار الطليعة، بيروت: 1973، ص23.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 73 وما يليها.

2- المغيلي بين الأصلاَح والثورة:

لم يكن الشيخ المغيلي شخصية علمية فحسب، بل وكذلك رجلا سياسيا ومفكرا اجتماعيا، حيث تصدى للنفوذ اليهودي في شمال إفريقيا، ومن ولاهم من كبار الساسة والأعيان والعلماء، فعاش متنقلا بين تلمسان وفاس وتمنطيط، داعيا ومناظرا ومجادلا، وناشرا لفكره وآرائه التي آمن بها.

رأى المغيلي "المشكلة اليهودية" من زاوية مختلفة، فقد هاله ما أصبحت عليه هذه الطائفة من نفوذ متزايد، في مختلف حواضر بلاد المغرب، فمن تونس الحفصية، إلى المغرب المريني، مرورا بالجزائر الزيانية، شكل اللوبي اليهودي إحدى أهم اللوبيات الضاغطة في السياسة والاقتصاد، ما سمح لهم في رأيه من تجاوز الحدود الشرعية، التي أقرها فقهاء ورجال الدين لأصحاب الديانات الأخرى (فقه الملل)، والتي تحكمها قوانين تميزهم عن أفراد المجتمع، الذي يقسم ثنائيا، إلى مسلمين وغير مسلمين، يضاف إلى ذلك الصورة الجاهزة لليهود في الفكر الاجتماعي الإسلامي، وهي أنهم يسعون وراء مصالحهم، ويتعدوا ويطغوا ويشتروا ذمم الزعماء والأعيان، إلى الحد الذي يمكنهم من السيطرة على خبايا السياسة والاقتصاد، حفاظا على مصالح جماعتهم، التي هي أساس بقائهم.

وقف المغيلي موقف المتشدد من دور الطائفة اليهودية الفاسدة، وليس من دور زعمائها فقط، وازدادت قناعته هذه بعد هجرته إلى توات، فلم يكن يتصور أن نفوذ هذه الطائفة قد وصل إلى أعماق الصحراء، وأنها وضعت يدها على التجارة العابرة من وإلى السودان الغربي، فجاهر بدعوته وقام على يهود توات، ودعا إلى مصادرة ممتلكاتهم، "ولم يكتف بذلك، بل نازلهم وقاتلهم وهدم كنائسهم.[1]

لقيت دعوة المغيلي معارضة شديدة من طرف علماء وأعيان توات، وقاد هذه المعارضة قاضي الجماعة التواتية الشيخ عبد الله العصنوني،[2] الذي استند على عدم جواز الاعتداء على أهل الذمة، يهودا كانوا أو نصارى، إلى العهد والميثاق، الذي أعطي لهم عبر تاريخ وجودهم في

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص 253.

[2] هو عبد الله العصنوني من سلالة العلامة النحوي علي بن محمد بن يحي بن محمد بن صالح بن سعيد بن أحمد بن عصنون، دخل توات بصحبة ابن أخيه سالم العصنوني سنة 863هـ/ 1458م، وتولى قضاء الجماعة التواتية بعد موت شيخه يحي بن يدير سنة 877هـ/ 1472م. ينظر: عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص- ص 69-،70.

المنطقة، وهو العهد الذي وجد طيلة العصر الإسلامي الوسيط والحديث، والذي يستند على شرعية عهد الرسول (ﷺ) ليهود المدينة (عهد الأمان).

أثار المغيلي قضية جديدة/قديمة، ليس في منطقة توات فحسب، بل وفي شمال إفريقيا، حيث أن كلا الفريقين المغيلي/العصنوني، ترافعا إلى علماء العصر، واستفتيا علماء فاس وتونس وتلمسان،[1] في محاولة للاستقواء وكسب التأييد والصدى لفقههما ومواقفهما.

اختلفت ردود رجال الدين وتضاربت الفتاوى، ولكن رد الغالبية كان إلى جانب العالم العصنوني، وعلى رأسهم الشيخ أحمد بن زكري مفتي تلمسان، والشيخ أبو مهدي عيسى المواسي مفتي فاس، والإمام أبو عبد الله الرصاع مفتي تونس، والشيخ أبو زكرياء يحي بن أبي البركات الغماري قاضي تلمسان، والشيخ عبد الرحمن بن سبع التلمساني، وغيرهم من كبار العلماء والفقهاء الذين رجحوا الوجه الفقهي الظاهري للمسألة، "والذي لا يجيز هدم بيع أهل الذمة، ماداموا مستوفين لعقد الأمان".[2]

بينما أيد المغيلي، الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي(ت 899هـ/1493م)،[3] أحد كبار علماء تلمسان، وقد أجاب مطولا عن المسألة المطروحة للنقاش، وأبان في جوابه عن سعة إدراكه للمسألة بمختلف أبعادها الدينية والسياسية، وبذل جهده في تحقيق الرأي، الذي كان يراه صائبا، وبعد أن قلب القضية على مختلف أوجهها، خلص إلى تأييد رأي الشيخ المغيلي.

انضم إلي هذا الفريق، الشيخ محمد بن يوسف السنوسي، أحد صلحاء تلمسان، وكتب كتابا مطولا إلى المغيلي يؤيد عمله، نقتطف مقطعا منه، كما أوردته المصادر التاريخية، وقد جاء فيه :" فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية، من تغييركم أحداث اليهود أذلهم الله تعالى، **وأخمد كفرهم كنيسة** في بلاد المسلمين، وأنكم **حرضتم** أهل تمنطيط على هدمها، فتوقفوا من جهة **من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء**، فبعثتم لذلك أسئلة **تستنهضون بها همم العلماء** لينظروا في ذلك".[4]

---

[1] وردت هذه القضية بالتفصيل في كتاب أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ج2.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص 214 وما يليها.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص 249.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص254.

أشاد الشيخ السنوسي بكفاية جواب العالم التنسي، وعرض بالمعارضين، ووصفهم بالارتهان لضغوط اللوبي اليهودي، وهذا ما يفهم من قوله:" فاعلم أني لم أرى من وفق لإجابة هذا المقصد، وبذل وسعه في تحقيق الحق، وشفاء غليل أهل الإيمان في المسألة، ولم يلتفت لأجل قوة إيمانه ونصوع إيقانه لما يشير إليه الوهم الشيطاني، من **مداهنة بعض من تتقى شوكته ويخشى وقوع ضرر منه**، سوى الشيخ الحافظ التنسي".[1]

القراءة الأولية لهذه الردود، تبين حالة الاستقطاب، التي آلت إليها القضية، إلى حد الاتهام والاتهام المضاد، بمهادنة اليهود، والارتهان لزعمائهم، والخوف منهم، ومداراتهم خوفا على المصالح الخاصة للبعض من الزعماء والأعيان ورجال الدين في المنطقة،

إن القراءة الظاهرية للنص الديني بالنسبة للشيخ العصنوني، ومن معه من الفقهاء، في رأي الطرف الآخر، يبين عدم القدرة على موائمة النص مع الواقع ومتغيراته، ومن ثم القدرة على مواكبة العصر، على خلاف أنصار المغيلي، الذين اعتبروا المسألة تحقيقا لقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم تخف عليهم إحدى أهم مقاصد الشريعة، وهي "جلب المصالح ودرء المفاسد" للمجتمع، وهنا نلمس مدى قدرة المغيلي على استقراء الواقع كما هو، والسعي وراء تغيير أحواله، بينما تجاهل المعارضون الوجه السياسي للمسألة.

ويرجع الأمر-في رأينا- إلى صيغة السؤال الذي كتبه الإمام العصنوني، ووجهه إلى مفتي تلمسان ابن زكري، وهذا نصه كما أورده الونشريسي: "..سيدي رضي الله عنكم جوابكم الكريم في مسألة وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء، وهي كنائس اليهود الكائنة بتوات وغيرها من قصور الصحراء، فقد شغب علينا فيها المغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع فتنة، إذ سألني عنها وعن فصول آخر في شأنهم مما أنكره عليهم وعلى الغلائف".[2]

إن صيغة السؤال، لتوحي بقصر في شرح المسألة بكل حيثياتها، فلم يشر إلا لمسألة هدم معابد اليهود وما سيثيره ذلك من فتنة، وهذا رأي العصنوني ومن معه من المعارضين، في المقابل لم تفصح صياغة السؤال عن حجة المغيلي وأتباعه، حيث توارت أبعاد القضية السياسية والواقعية، ولم تطرح المسألة، إلا من وجهها الفقهي الديني البحث، وفي ذلك لبس واقع لا محالة، على من يجيب على السؤال.

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص254،

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص214.

3-ثورة على اللوبي أم على اليهود؟:

لم يثن المغيلي وقوف علماء عصره ضد أفكاره الثورية، بل أصر على أرائه في الجماعة اليهودية، فجمع أنصاره، وكسب تأييد طلبته، وواصل إبراز قناعاته وسداد أرائه، فانتقل بين مختلف مناطق توات، ووصل فاس للمناظرة في حضرة سلطانها يحي ابن أبي زكريا الوطاسي عارضا رسالته، التي ضمنها موقفه والمعروفة بـ "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، التي حققها الأستاذ رابح بونار.

إن إصرار المغيلي على آراءه، حفظت جهوده التي امتدت لسنوات، والتي لم يشأ أن تذهب سدا، فرغم المعارضة الشديدة، التي واجهته من معظم علماء بلاد المغرب آنذاك، إلا أنه وبمجرد ورود رسالتي التأييد، من الإمام محمد بن عبد الله التنسي، والشيخ السنوسي، وتأييد طلبته له، حتى شعر بقوة موقفه لدى الرأي العام، دون اعتبار للإجماع، ولأقوال من خالفه من العلماء والأعيان والعامة، وهذا ما كان ينقصه، فبادر وأعلن ثورته، وأمر أصحابه ومن كان معه، فأخذوا آلات الحرب، وقصدوا كنائس اليهود لهدمها، كما أمرهم بقتل كل من عارضهم، أو وقف حائلا دونها، مما تسبب في فرار يهود تمنطيط إلى القصور القريبة، وتفرقوا وشردوا ولوحقوا، في حين أخذ زمام المبادرة بنفسه، فقام بإعادة تنظيم شؤون البلاد، وإصلاح ما هو فاسد، وتنصب قاضيا للجماعة التواتية.[1]

إن المتتبع لجهود وأعمال المغيلي، الذي لا يشك في صدقه وعلمه ونضاله، قد تجاوز الحدود التي صاغتها القوانين والأعراف والتقاليد، تجاه الجماعات الدينية المختلفة، خاصة اليهودية منها، والتي تعتبر من سكان المنطقة الأصليين، فقد تحولت ثورته من مجرد ثورة على اللوبي اليهودي، ودوره السياسي والاقتصادي، إلى تصفية الوجود اليهودي كعرق وكدين. ونلمس ذلك في أنه أمر بقتل كل من وقف معارضا لهدم مقار عباداتهم، ثم أنه لم يكن كل اليهود جماعة ضغط ونفوذ، ومن ثم تحولت ثورته من ثورة على الظلم، أيا كان عرقه ودينه، إلى اضطهاد ليهود المنطقة بالكامل.

[1] مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ط1، الجزائر2002، ص64.

ويؤكد رأينا هذا ما أورده صاحب البستان في ترجمته حيث قال:"..ثم قال لهم **من قتل يهوديا فله علي سبعة مثاقيل وجرى في ذلك أمور** وله في تلك القضية منظومة في مدح النبي (ﷺ)، وذمّ اليهود ومن ينصرهم".[1]

ورغم أن ابن مريم لم يفصح أكثر في هذه العبارات المبهمة، إلا أنه من حقنا أن نتساءل: ماذا كان يقصد بعبارة "جرى في ذلك أمور"، فهل كان في ذلك تجاوزا لحدود أقرها الدين، في التعامل مع الجماعات الغير مسلمة؟ أم أن ابن مريم لم يشأ ذكر تلك التجاوزات، وهو المعروف بتأييده للمغيلي، خاصة ونحن نعرف أن الدفع بالعامة، إلى أتون الفتن والحروب، لا يأتي منها إلا الخراب والدمار.

ثم لنا أن نساءل عبارة "من قتل يهوديا فله سبعة مثاقيل"، هل الوقوف ضد تغلغل جماعة ضغط، تعني القضاء على عرق أودين، وتصفية وجوده لمجرد الانتماء،؟ فكم من يهودي جزائري، لم يكن يملك قوت يومه، فكيف له أن يتدخل في الشؤون الاقتصادية والسياسية، فقد أوردت المصادر والمراجع التي أرخت للطائفة اليهودية في تلك الفترة،[2] أن معظم يهود الجزائر- ومنهم يهود توات- كانوا من الطبقة الفقيرة المحشورة في حارات اليهود، التي تضم بيوتا ومساكن متواضعة، والموجودة في الحواضر والمدن المختلفة. ولذلك كان على حركة التغيير أن تساءل أرباب اليهود-وهم قلة- المشكلون للوبي الاقتصادي والسياسي الضاغط، لا إلى مجموع اليهود وعامتهم.

بعد أن استقر الوضع في المنطقة، رحل الشيخ المغيلي إلى السودان الغربي، فدخل بلاد أصير وأقام في بلدة تكدة، واجتمع بسلطانها، وتفرغ للتعليم، ونشر الثقافة الدينية هناك، ومنها انتقل إلى بلاد الوكشن واستقر به المقام في عاصمتها كانو، وكان له مع سلطانها علاقات طيبة،

---

[1] ابن مريم المصدر السابق، ص 256.

[2] من المصادر والمراجع التي أرخت لليهود في الجزائر:

بفايفر، سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر1984.

Show, Tomas; voyage dans la régence d'Alger, trad J.Mae carthy, Tunis, ed Bouslama.

Tassy, Laugy de; histoire du royaume d'Alger, Amesterdam, Henri du Sauzy 1725 ، TI.

Choraqui (A, les juifs d'Afrique du Nord, paris, 1952.

Choraqui (A, la sage des juifes en Afrique du Nord, paris 1972

Eisnbeth (M); Le judaisme Nord Africain, Constantine 1931.

فانتفع من علمه، وكتب له رسالة في أمور السلطنة ينصحه فيها على إتباع الشريعة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.[1]

رحل الشيخ المغيلي بعد ذلك إلى بلاد التكرور، واجتمع بسلطانها الحاج أسكيا، ثم رحل لأداء فريضة الحج، وفي طريق عودته أقام في مصر حيث اجتمع بعلمائها، وعلى رأسهم الشيخ جلال الدين السيوطي، ثم قفل راجعا.

وهو في بلدة كاغو، بلغه عودة اليهود إلى مناطقهم، بمساعدة الجماعة التواتية المناهضة للمغيلي، كما وصله نبأ مقتل ابنه عبد الجبار، فثارت ثائرته، وقبض على التواتيين الموجودين معه في كاغو انتقاما، ولم يطلق سراحهم إلا بعد تدخل الشيخ أبو المحاسن محمود بن عمر، الذي توسط في القضية، على اعتبار عدم جواز ما قام به المغيلي.[2]

فالتواتيون الموجودون ببلاد السودان، لا دخل لهم في ما حدث في توات، ولا في مقتل ابنه، وبذلك رجع المغيلي عن رأيه، وأطلق سراحهم، وارتحل بنفسه إلى توات، حيث وقف على عودة بعض اليهود لأماكنهم، وحاول طردهم مرة أخرى، لكنه لم يتمكن من ذلك، بسبب معارضة الأعيان أمثال الشيخ عمرو بن عبد الرحمان، عندها توجه الشيخ لواد البرامكة، وبقي هناك، حتى وافته المنية سنة 1503م/ 909هـ، [3] ودفن بزاويته المعروفة بزاوية الشيخ المغيلي، وضريحه إلى اليوم يعد مزارا لسكان الصحراء.

ثالثا: ارتدادات الثورة المغيلية:

عاش الشيخ المغيلي في القرن الخامس عشر الميلادي، ولكن نفوذ اليهود الاقتصادي في شمال إفريقيا عموما، والجزائر خصوصا، ما فتئ يزداد مع مرور الوقت، وصاحب ذلك تغلغلا سياسيا، ليس لدى حكام المناطق في قسنطينة ووهران فحسب، بل حتى لدى باشاوات العاصمة، حيث شركة بكري بوشناق، التي احتكرت تجارة القمح مع الداي، لذلك عرفت الثورة المغيلية ارتدادات في عصور لاحقة، وإن اختلفت في الشكل والصورة عما حدث في توات.

---

[1] لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد الله مقلاتي ومحفوظ رموم، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، وزارة الثقافة، الجزائر 2009.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص 255.

[3] عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص- ص39-40.

1-قضية المختاري اليهودي بقسنطينة:[1]

استمر الموقف، الذي فجره المغيلي تجاه اليهود بتوات، يلقي بظلاله على الحياة العامة بعد القرن الخامس عشر، فقد أثار إمام الجامع الأعظم وخطيبه بقسنطينة، الشيخ أبو محمد عبد الكريم الفكون الجد،[2] قضية اليهودي المختاري.

تكمن حيثيات هذه القضية، في أن هذا اليهودي بعد أن أسلم، ألحق بالخدمة العسكرية، في قصر الباي، وتشاجر مرة في مجلس، وسب الرسول (ﷺ)، فحبس وسجن، وحولت قضيته إلى مجلس الشورى، ورغم تدخل أهل الحل والعقد لفض المشكل، إلا أن الأمر ازداد تدهورا، وذلك عندما طالب الشيخ الفكون الجد، وهو أحد كبار علماء عصره، تطبيق حد القتل على اليهودي، ورفض باي قسنطينة آنذاك، ومعه حراس باب القصبة ذلك الحكم، وتوسعت المسألة حتى تحولت إلى قضية رأي عام.

استدعي الجميع إلى الجامع الأعظم الكائن بوسط البلاد، وتعاقب الحضور على تناول الكلمة، وكان رأي الفكون الجد تطبيق حد القتل في المختاري، بينما ذهب العالم أبو زكرياء يحي بن محجوبة القاضي والمفتي الرسمي للبايلك، إلى عدم جواز قتل هذا اليهودي الذي أسلم، وذلك خوفا من ثورة العساكر الانكشارية، التي ينتمي إليها المختاري، وبعد أخذ ورد انتصر الجميع من أهل المشورة والعامة لرأي الفكون، وبذلك تحول الأمر بسرعة كبيرة من مجرد قضية فرد، إلى قضية الجماعة اليهودية، وموقعها داخل النسيج المجتمعي لمدينة قسنطينة.

كانت العامة أصلاً، شديدة الحساسية تجاه اليهود، لدواعي دينية واقتصادية، ونظرا لثقافة الكره السائدة في المجتمع، حيث كان ذكر اليهودي يقرن بعبارة "لعنه الله"، ولما كان لرجال الدين السلطة القهرية، فقد تحول الجدال بينهم، إلى مناقشة وضع اليهود داخل المجتمع القسنطيني، ودورهم الاقتصادي، وتغلغلهم السياسي، ومدى خطورة ذلك على مستقبل البلد، خاصة وأن اليهود آنذاك كانوا رعايا من الدرجة الثانية، إلا أن ثقلهم السياسي والاقتصادي كان يفوق

---

[1] وردت القضية بالتفصيل في كتاب: عبد الكريم الفكون الحفيد، المصدر السابق، ص 64 وما يليها.

[2] توفي في سنة 988هـ/1580م ودفن بمدرسة آل الفكون، الواقعة برحبة البلاد. أنظر ترجمته بالتفصيل: عبد الكريم الفكون الحفيد، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق و تعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1987، ص –ص 47-51.

حجمهم بكثير، وبذلك أضحت قضيتهم حديث العام والخاص، وتحولت نقاشات أدوارهم إلى الساحات العامة للمدينة.[1]

كانت قسنطينة إحدى أهم مراكز النفوذ اليهودي في الجزائر، إضافة إلى تلمسان والجزائر المحروسة، حيث يحتكرون تجارة الصوف والذهب والفضة والصرافة، وكانوا وراء معظم أزماتها الاقتصادية والسياسية في العصر الحديث، ويكفي أن نعرف أنهم كانوا وراء إيصال مصطفى الوزناجي إلى منصب البايوية بقسنطينة، حتى ندرك مدى النفوذ، الذي يتمتعون به، ومن ثم قدرتهم على تنصيب موظفي الدولة، لخدمة مصالحهم، وحماية ممتلكاتهم، وتوسيع ثرواتهم.[2]

2-رسالة الشيخ محمد الولي:[3]

استمر الفكر المناهض لليهود بالجزائر، واستمرت من خلاله أفكار المغيلي، ولو أن هذا الفكر تميز بالسطحية في الطرح، ولم يتعداه إلى الفعل، فلم يتحول إلى ثورة اجتماعية، قادرة على حلحلة الوجود اليهودي في المنطقة، أو حتى تحجيم أدواره، داخل مناحي الحياة المختلفة، مثلما حدث مع الثورة المغيلية في إقليم توات، ولو أن تلك الثورة لم تدم طويلا، حيث استعاد اليهود أدوارهم السابقة، ومكانتهم الاجتماعية والاقتصادية، بمساعدة أعيان المنطقة وبعض علماءها.

إن رسالة الشيخ محمد الولي التي أسماها "سيف الودود في عنق من أعان اليهود"،[4] والتي كتبها سنة 1172هـ/1758م، لم تأت بالجديد، فقد جاءت في خمس ورقات، وهي محفوظة إلى اليوم بالمكتبة الوطنية، وقد اطلعنا عليها، فوجدنا صاحبها قد ضمنها موقف الشريعة الإسلامية من سب اليهود والنصارى للرسول (ﷺ)،[5] وهي المسألة نفسها، التي أثارها الشيخ عبد الكريم الفكون الجد في قضية اليهودي المختاري، وقد كان الشيخ محمد الولي متشددا، فقد أفتى بإحراق كل يهودي تثبت عليه تهمة سب الرسول (ﷺ)، وأشار إلى أن رأيه ليس بدعا من القول، وإنما

---

[1] حول تفاصيل هذه القضية أنظر: عبد الكريم الفكون الحفيد، المصدر السابق، ص – ص64-67.

[2] Marcier ; Histoire de l'Afrique septentrionale, T3, p.440.

وأنظر كذلك : حمدان خوجه، المرآة، ترجمة وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 142.

والزبيري، محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 221.

[3] أنظر الرسالة مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 2198. وقد أوردها أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي تحت عنوان "السيف الممدود في عنق من أعان اليهود".

[4] الرسالة رقم 2198، مخطوط المكتبة الوطنية، الوجه 1.

[5] المصدر نفسه، الوجه 3.

هو رأي المتقدمين، ولذلك فقد أورد في رسالته ما يؤيد رأيه، وضمنها أقوال من سبقه من العلماء، ولم يكتف بذلك بل حاول أن يدعم رأيه من الكتاب والسنة، لذلك استعرض مختلف الآيات والأحاديث،[1] التي تدعم رأيه وتؤكده، أو هكذا تصور.

3-مقاومة اللوبي اليهودي مسألة مغاربية:

أدى اليهود دوراً كبيرا في الممالك والإمارات، التي قامت في شمال إفريقيا، باعتبارهم جزء من النسيج الاجتماعي للمنطقة، خاصة أيام الموحدين والزيانيين والمرينيين والحفصيين، ووصل بعضهم إلى أعلى المناصب في الدولة، وعين بعضهم كمستشارين بسبب علاقاتهم مع أوروبا، كما لعبت بعض العائلات اليهودية دوراً كبيرا في الحياة الاقتصادية، كعائلة بكري بوشناق المشهورة بالجزائر.

أمام هذا النشاط الاقتصادي والسياسي المتزايد لليهود، خاصة مع وصول يهود إسبانيا وليفورن، بدا للعامة والخاصة، وكأن لوبي يهودي يتشكل ويتغلغل، فأثار ذلك حفيظة رجال الدين بالمنطقة، الذين أعادوا إثارة المسألة من جديد، من خلال محاولة ترسيم حدود الحقوق والواجبات، المسموح بها للأقليات الدينية، من منطلق فقه الملل، وهم يعبرون من خلال إثارتهم لمثل هذه المواضيع الفقهية القديمة، عن عقلية الخوف والحساسية، من الدور الاقتصادي والسياسي المتعاظم للأقليات، من جهة، ومن الصورة النمطية التقليدية لغير المسلمين، في الذهنية التراثية والتاريخية للمسلمين، من جهة أخرى، شارك في هذه النقاشات من الجزائر الشيخ محمد بن أحمد الكماد القسطيني،[2] قاضي الجماعة بقسنطينة، الذي أيد أراء علماء فاس في إبطال الرسم التاريخي، الذي يقول اليهود بأن الرسول (ﷺ) أعطاه، لهم ولمن بعدهم، كأمان وتأمين لحياتهم في مجتمع المسلمين، وهذا ما يحفظهم ويحفظ أنفسهم وأموالهم ونساؤهم وأبنائهم من القتل أو الاضطهاد أو المصادرة، وهو العهد الذي يستند عليه اليهود في عدم دفع الجزية، وبالتالي دعم موقفهم ووجودهم كأقلية دينية وسط المجتمعات الإسلامية.

---

[1] المصدر نفسه، الوجه 4 وما يليه.

[2] هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد الكماد القسطيني المتوفى سنة 1116هـ/1704م. أنظر ترجمته في : عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 44.

انقسم الفقهاء بين مؤيد ومشكك ومعارض لهذا العهد، وكان الشيخ الكماد القسنطيني، قد أورد رأيه مكتوبا، وقد وافق ذلك رأي عالم فاس الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي، حيث أقرا ببطلان العهد.[1]

اتهم ابن الكماد والفاسي اليهود بتزوير الوثيقة، التي تسقط الجزية عنهم، وذلك سنة 1015هـ/1606م، وقالا بأنها لا تعود لعصر الرسول (ﷺ)، أي أيام يهود خيبر، وأن الصحابة شهدوا بذلك، كما ادعوا، لهذا تراسل العلماء للنظر في الوثيقة، فأقروا بأنها مزورة، ومن ثم بطلان أحكامها، واستندوا في ذلك إلى ما ورد فيها من أن الصحابي معاوية كان شاهدا عليها، إلا أن الأحداث التاريخية تؤكد أن معاوية أيام خيبر لم يكن مسلما، وأن إسلامه جاء بعد فتح مكة، فكيف يكون شاهدا على وثيقة وهو لم يسلم بعد.

أصبحت مسألة الوجود اليهودي تؤرق النخب المثقفة، ليس في الجزائر فحسب، بل وفي كامل شمال إفريقيا، كما أن فكر وأسس الثورة المغيلية ظلت حية، في وجدان الفقهاء، ذلك أن مناهضة اليهود، نابع من تجاوز نخبهم السياسية والاقتصادية لحجمهم العددي، وقدرتهم على التحول إلى لوبي، قادر على تغير مجرى أحداث الصراع على السلطة، وظروف الاقتصاد، في مناطق تواجدهم.

الخاتمة:

استمرت مسألة الوجود اليهودي في شمال إفريقيا، تلقي بظلالها على المشهد السياسي والفقهي، حيث ناقش رجال الدين أدوار اليهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ما يؤكد أن المسألة أضحت تؤثر على حياة العامة والخاصة، وزاد القضية اتساعا انعزال اليهود كعنصر اجتماعي مميز ومتمايز، واستحكام عقلية الكيتو وحب السيطرة، التي تملكتهم، بسبب تاريخ حافل بالاضطهاد مورس ضدهم.

استطاع الشيخ المغيلي بحكم شخصيته وملامح الثورة والتمرد التي ميزت مسيرته، وذلك منذ أن كان في تلمسان، حيث انتقد مرارا الأوضاع السياسية والاجتماعية فيها صراحة لا ضمنا، استطاع أن يراكم أسباب الثورة في توات ولا غيرها، وربما يعود ذلك إلى غياب السلطة السياسية

[1] ابن حمادوش، عبد الرزاق، لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال المعروفة برحلة ابن حمادوش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 64. والشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي ولد سنة 1042هـ/1632م وتوفي سنة 1116هـ/1704م.

المركزية واقتصارها على جماعة الأعيان وشيوخ القبائل، هذا الفراغ سمح للشيخ المغيلي بملئه، خاصة وأنه عرف بجمعه في مواقفه بين السياسة والدين.

استمر التيار المناهض للوجود اليهودي، وانتقلت أفكار الشيخ المغيلي من توات إلى مناطق وأقطار شمال إفريقيا، فطيلة القرون التي تلت، تحركت النخب في إطار المرجعية الدينية، يتقدمهم الشيخ عبد الكريم الفكون الجد، والشيخ محمد الولي، والشيخ ابن الكماد القسنطيني، ولو أنها لم تكن بنفس قوة، وزخم الثورة المغيلية، ربما لمحدودية تجاوب السلطة السياسية آنذاك مع مثل هذه الأطروحات.

إن انشغال العامة والخاصة بالوجود اليهودي، أثاره الخوف المتزايد من النفوذ المتصاعد لليهود في المجال الاقتصادي والسياسي، وذلك بما يفوق حجمهم الديموغرافي، ومن ثم قدرتهم على التحول إلى جماعة ضغط، قادرة على التأثير في القرار السياسي.

ظلت أفكار وأسس الثورة المغيلية تلقي بظلالها على القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وزاد سوء الأوضاع السياسية والاجتماعية من حدة النقاشات حول دور اليهود في ذلك، ومن ثم توسعت دائرة الجدال، من مجرد الحديث عن الدور اليهودي، ضمن إطار المؤسسات السياسية للدولة وأطرها الاجتماعية، إلى محاولة تصفية الوجود اليهودي، كعرق وكدين، من منطقة شمال إفريقيا، وهو ما نلمسه في ثورة المغيلي في عنفوانها، عندما لم تكتف بتصفية اللوبي الاقتصادي اليهودي، وتجاوزته إلى المساس بيهود المنطقة كلها.

إن فهم الظاهرة اليهودية، وما يسمى بظاهرة الأقليات، لن تتم بترشيح التاريخ وحده للتحليل، وإنما عوامل نفسية مرتبطة بالمعاناة والاضطهاد، ومن ثم الانغلاق وتشكل الخوف والخوف المضاد **والمخرج إعادة تفكيك وتركيب ظاهرة الأقليات في المجتمعات الإسلامية، وفق منهج حداثي، يقوم على المواطنة بدل الأقلية، والانفتاح بدل الانغلاق في شكل كيتوهات اجتماعية، ومن ثم نزعة للأنسنة، تتجاوز التاريخ إلى عدالة الأديان.**

قائمة المصادر:

1-بفايفر (سيمون)، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر.1984

2-الونشريسي (أحمد بن يحي)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ج.2

3-ابن مريم (أبي عبد الله محمد المديوني)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي الشنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

4-الفكون الحفيد (عبد الكريم)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987.

5-حمدان (خوجه)، المرآة، ترجمة وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

6-ابن حمادوش (عبد الرزاق)، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال المعروفة برحلة ابن حمادوش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

7-الرسالة رقم 2198، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

قائمة المراجع:

8-البوعبدلي (المهدي)، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، السنة16، العدد 94، جويلية/أوت، 1986.

9-بوعزيز (يحي)، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001.

10-بكري (عبد الحميد)، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الطباعة العصرية، الجزائر، 2010.

11-الحمدي (أحمد)، محمد عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية في توات عصره ولآثاره، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر 2000/1999..

12-ليون (إبراهام)، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، دار الطليعة، بيروت: 1973.

13-محمود فرج (فرج)، إقليم توات خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984.

14-مقدم (مبروك)، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، الجزائر، ط 1، 2002.

15-مقلاتي (عبد الله) ورموم (محفوظ)، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.

16-سعد الله (فوزي)، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة، الجزائر د.ت.

17-الغيتاوي (مولاي التوهامي)، **سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات**، منشورات A.N.E.P، الجزائر، ج1، 2005م.

18-رموم (محفوظ)، حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500-1830م، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، العدد 27، لسنة ديسمر 2013.

19-الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

المراجع الأجنبية:

20-Choraqui (A); la saga des juifes en Afrique du Nord, paris 1972

21-Choraqui (A); les juifs d'Afrique du Nord, paris, 1952

22-Eisnbeth (M); Le judaisme Nord Africain, Constantine 1931.

23-Eisnbeth (M); Les juifs de l'Algérie et de la Tunisie a l'époque Turque 1516-1830 ، Revue Africaine, N 93 ، A 1952.

24-Marcier ; Histoire de l'Afrique septentrionale ، T3.

25-Show, Tomas; voyage dans la régence d'Alger, trad J.Mae carthy, Tunis, ed Bouslama.

26-Tassy, Laugy de; histoire du royaume d'Alger, Amesterdam, Henri du Sauzy 1725, TI.